موقع المسندي
سلسلة البحوث العلمية
٤

القواعد الأصولية
في
نبذ الفرقة واتباع السبيل السوية

جمع وترتيب

أبو حفص محمد بن كامل المسندي الأثري

القواعد الأصولية

في

نبذ الفرقة واتباع السبيل السوية

جمع وترتيب

أبو حفص محمد بن كامل المسندي الأثري

F

القواعد الأصولية في نبذ الفُرقة واتباع السبيل السوية

إنَّ الحمد لله، نحمده، و نستعينه، و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ@ } [آل عمران: ١٠٢].

{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ? } [النساء: ١].

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً { يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧١﴾ } [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإنَّ خير الكلامِ كلامُ الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه و آله وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمَّا بعدُ:

فهذه القواعد الأصول التي من سار عليها كان على السبيل السوي والمنهج النبوي، فهناك من يدعي السلفية ولا يطبق هذه القواعد، فأين هؤلاء من هذه الأصول السنية؟!

قال الله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ e } [آل عمران: ١٠٣].

وأخرج مسلم في صحيحه، ومالك في الموطأ من طريق سُهيل ابن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[1].

قال ابن أبي داود السجستاني في الحائية:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى ... وَلاَ تَكُ بِدْعِيّاً لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللهُ: "وقد فُسِّر حبله بكتابه، وبدينه، وبالإسلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعهده، وبطاعته، وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة

(١) «مسلم» (٣/١٣٤٠)، «الموطأ» (٢/٩٩٠).

والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكلّها صحيحة، فإنَّ القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعًا إنما يكون في الجماعة. ودين الإسلام حقيقته: الإخلاص لله" اهـ[١].

فالاختلاف والفُرقة هلكة، والجماعة نجاة.

وقد أخرج الدارمي[٢] في سننه بسند صحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر، ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع؟ فأوصنا. فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والمحدثات، فإن كل محدثة بدعة» وقال أبو عاصم مرة : «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».**

فقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن في اتباع السنة والتمسك بها النجاة والفلاح، والبعد عن المحدثات والبدعيات، فكلها ضلالات ومهلكات.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[٣].

---

(١) «منهاج السنة» (٥/ ١٣٤).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٥٧).

(٣) «أصول السنة للإمام أحمد».

قال تعالى: { شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ S } [الشورى: ١٣].

قال البغوي: "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والأُلفة والجماعة، وترك الفُرقة والمخالَفة"[١].

وقد أخرج الترمذي في كتاب الفتن من سننه[٢]، باب ما جاء في لزوم الجماعة، من طريق النضر بن إسماعيل أبي المغيرة، عن محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا، فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، إلا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلَّا كان ثالثهما الشيطان. عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد. من أراد بُحْبُوحَةَ الجنة فليلزمِ الجماعة. من سرَّتْه حسنته وساءته سيِّئته فذلك المؤمن**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد رُوي هذا الحديث من غير وَجْهٍ عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ا هـــ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ١٢٢).

(٢) «سنن الترمذي» (٤/ ٤٦٥).

وأخرج البخاري[١] ومسلم[٢] في صحيحيهما عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة أن يُدركني. فقلت: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال «**نعم**». فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال «**نعم، وفيه دَخَن**». قلت: ما دَخَنُه؟ قال: «**قومٌ يستنُّون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتُنكر**». فقلت: هل بعد ذلك الخير شر؟ قال: «**نعم ، دُعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «**نعم، قومٌ من جِلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا**». قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تَلْزَمُ جماعة المسلمين وإمامهم**». فقلت: فإن لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أنْ تَعَضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**».

فقوله **(هم من جلدتنا)**: أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب. وقال الداودي: أي من بني آدم. وقال القابسي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون، وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن، قيل ويؤيد إرادة العرب أن السمرة غالبة عليهم واللون إنما يظهر في الجلد، ووقع في رواية أبي الأسود «**فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**» وقوله: «**جثمان**» بضم الجيم وسكون المثلثة هو الجسد ويطلق على الشخص، قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد الذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده، فكان فيهم من يتسمك بالسنة والعدل وفيهم من

(١) «صحيح البخاري» (١٣/ ٣٥).

(٢) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٧٥).

يدعوا إلى البدعة ويعمل بالجور. قلت: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه بعد الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله «**الزم جماعة المسلمين وإمامهم**» يعني ولو جار ويوضح ذلك رواية أبي الأسود «**ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك**» وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه[١].

فانظر رحمك الله لحال هؤلاء وهم من بني جلدتنا لكنهم على غير منهجنا.

وقد أخرج مسلم في صحيحه[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبيَّة، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقُتل فقِتْلته جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولستُ منه**».

ومن ذلك: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أحلَّ دم المفارق للجماعة. فأخرج البخاري[٣] ومسلم[٤] في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدي ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

---

(١) «فتح الباري لابن حجر» (١٣/ ٩٢) .

(٢) (٣/١٤٧٦-١٤٧٧).

(٣) (١٢/ ٢٠٩).

(٤) (٣/١٣٠٢-١٣٠٣).

قال النووي رحمه الله: "وأما قوله: «**والتارك لدينه المفارق للجماعة**» فهو عامٌّ في كل مرتدٍّ عن إسلام بأيِّ ردَّة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام.

قال العلماء: ويتناول أيضًا كل خارج عن الجماعة ببدعتة أو بغي أو غيرها، وكذا الخوارج. والله أعلم"[1].

وأخرج النسائي في سننه[2] وابن حبان في صحيحه[3] عن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**ستكون من بعدي هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمرهم جَمْعٌ فاقتلوه كائنًا من كان، فإن يد الله مع الجماعة، وإنَّ الشيطان مع من فارق الجماعة يَرْتَكِضُ**».

قال القاري[4] "و«**هَنَاتٌ**» أي: **شرور وفساداتٌ متتابعة خارجيةٌ عن السَّنة والجماعة**. والمراد بها الفتن المتوالية، والمعنى: أنه سيظهر في الأرض أنواع الفساد لطلب الإمارة من كل جهةٍ، وإنما الإمام من انعقدت أولًا له البيعة". اهـــ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل قُتل، مثل المفرق لجماعة المسلمين، والداعي إلى البدع في الدين. قال تعالى: **{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً J }** [المائدة: ٣٢]، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله

---

[1] «شرح النووي على مسلم» (١١/ ١٦٥).

[2] (٧/ ٩٢-٩٣).

[3] (١٠/ ٤٣٨).

[4] «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٥٨-٢٥٩).

وسلم أنه قال: «**من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنًا من كان**»...". اهـ[1].

وأخرج أحمد في مسنده[2]، وابن أبي عصام في السنة[3] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن سبب الاجتماع والألفة جمعُ الدين والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً وظاهراً، ... ونتيجة الجماعة: رحمة الله ورضوانه، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه"[4].

فأهل السُنَّة مستمسكون بالجماعة، مُعْرِضُون عن مواضع التفرق والاختلاف، ملتزمون بجمل الكتاب والسُنَّة والإجماع، بعيدون عن مواطن المتشابهات التي تُفَرِّق الجَمْع وتُشَتِّت الشمل؛ لأن الجماعة عندهم هي مناط النجاة في الدنيا والآخرة.

وهذا يشهد لصدقه واقع أهل البِدع والأهواء المجتمعين على الأصول البدعية؛ فإن فِرَقهم الكبرى انشعبت إلى ما لا يُحصى عَدًّا مِن الفِرَق المتشاكسة المتعاكسة، وهذا ظاهر في الخوارج والروافض – مثلاً – فكل من هاتين الطائفتين افترقت إلى فرق كثيرة، بعد أن فارقوا الحق وتركوا الاجتماع عليه.

قال ابن وهب: "سمعت مالكاً يقول: ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف مِن أهل الأهواء، مِن هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٠٨، ١٠٩).

(٢) (١/ ٢٧٨، ٣٧٥).

(٣) (١/ ح ٨٩٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٧).

وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } آل عمران: ١٠٦]، قال مالك: فأي كلام أبين مِن هذا؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء، ورواه ابن القاسم وزاد: قال مالِك: إنما هذه الآية لأهل القِبلة"[١].

فالفُرْقة مذمومة والحُكم عند التنازع للكتاب والسنة.

وقال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي أصلح أولها.

وبهذا يجب على الشباب أن يُقبلوا على العلم النافع، وأعلى العلم النافع علم الإعتقاد، وثم علم الحلال والحرام، هذان العلمان هم اللذان بهما ينفع الله جل وعلا به العباد والشباب بخاصة، ويجعل الله بهما الشباب والعباد ليّنة قلوبهم مستقيمة أعمالهم، ويرجى الصلاح بعد ذلك إذا استقاموا على هذا المنهج وعلى هذا الطريق.

فسبيل الإصلاح هو العلم والعمل لا غير ونحن بحاجة اليوم إلى من ينشر العلم فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي و لم يورث إلا شيئا واحدا ورث العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وقال عليه الصلاة والسلام في أول الحديث «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٢]، فالأنبياء في حياتهم هم الذين ينشرون الحق والهدى ويردون الباطل، وبعد وفاتهم من الذين يحملون الراية من بعدهم؟ العلماء لا غير بنص قوله عليه الصلاة والسلام «**العلماء ورثة الأنبياء**» فتعيّن على أن طريقة التربية الصحيحة على ما هو صلاح القلوب وصلاح الجوارح وذلك إنما يكون عن طريق العلم النافع.

---

(١) «الاعتصام للشاطبي» (٢/ ٢٩٠).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٦٨٢)، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : (٦٢٩٧) في صحيح الجامع.

ولما كان الاجتماع والائتلاف من دعائم قوة المسلمين التي بها يرتفع شأنهم وتعلو كلمتهم على كلمة أعدائهم، جعل صلى الله عليه وسلم إصلاح ذات البين أفضل من الصيام والصلاة والصدقة، ولما كان فساد ذات البين من أعظم الأمور التي تضعف المسلمين وتبعدهم عن رضا الله ونصره، جعل ذلك صلى الله عليه وسلم حالقاً للدين بمنزلة الموسى التي تحلق الشعر.

كما في حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**». قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**». وفي رواية: «**هي الحالقة لا أقول هي تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[1].

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من كل أسباب الخلاف والفرقة، كالحسد والبغضاء والهجر والغيبة والنميمة وغيرها، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[2].

فصل في أن أهل الحديث هم الجماعة:

---

(١) «أبو داود» (٥/٢١٨).

(٢) «البخاري» رقم (٦٠٦٥) و«مسلم» (٤/١٩٨٣).

واشتهر أهل الحديث بأنهم الناقلون لمنهج السلف في الاعتقاد والاستنباط؛ ولذلك كانوا أسعد به في التطبيق من غيرهم في الجملة .

فهم أكمل الناس عقلا؛ وأعدلهم قياسا وأصوبهم رأيا وأسدهم كلاما وأصحهم نظرا وأهداهم استدلالا وأقومهم جدلا وأتمهم فراسة وأصدقهم إلهاما وأحدهم بصرا ومكاشفة وأصوبهم سمعا ومخاطبة وأعظمهم وأحسنهم وجدا وذوقا. وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل.

ولذلك فالفروع الفقهية مما يقع فيه الخلاف أو يسوغ فيه الاجتهاد، ليس معيارا لمنهج السلف؛ ولذلك وجدناهم يؤلفون في فقه الخلاف، ويستسيغون الخلاف فيه دون تحريم أو تأثيم للمخالف عن علم واجتهاد، مع اعتمادهم للدليل الشرعي مرجعا للترجيح؛ ونظرة في ما يعرف بكتب الخلاف «الفقه المقارن» كالأم للإمام الشافعي [بعض الناس يظنه كتابا خاص بفقه الشافعي بينما هو كتاب فقه مقارن]، وفتح القدير لابن الهمام الحنفي، والاستذكار لابن عبد البر المالكي أوتلخيصه وتحليله: بداية المجتهد لابن رشد المالكي، والمغني لابن قدامة الحنبلي، كافية في كشف هذه الحقيقة .

وجماهير أتباع المذاهب الأربعة متفقون على منهج السلف في الفقهيات.

أما في غير ذلك فهو المقرر في بحثي هذا من الفُرقة في المنهج النبوي، والسبيل السوي، فمن ترك هذا فهو متوعد بالنار.

وقال هارون الرشيد رحمه الله: "طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث"(١).

---

(١) شرف أصحاب الحديث (ص٥٥) (١١٠).

وكان السلف يعدّون الطعن على أهل السنّة والذابين عنها؛ من علامات أهل البدع والضلال، بل قد يعدّون الرّجل من أهل البدع بمجرد طعنه عليهم، قال أبو زرعة: "إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة: فلا تشك أنّه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي: فلا تشك أنّه ناصبي، وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبد الله بن المبارك: فلا تشك أنّه مرجئ، واعلم أنّ هذه الطوائف كلها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل؛ لأنّه ما من أحد إلا وفي قلبه منه سهم لا بُرْء له"(١).

وقال ابن تيميّة فيمن يوالي الاتحادية وهي قاعدة عامة في جميع أهل البدع:

"ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم أو عظم كتبهم، أو عرف بمساندهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدرى ما هو، أو من قال إنه صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير، التي لا يقولها إلا جاهل، أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان، على خلق من المشايخ والعلماء، والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فساداً، ويصدون عن سبيل الله ".اهـ(٢).

فصل في فتاوى أهل العلم المعاصرين في التفرق:

سُئِلَ العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هل هناك نصوص في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم فيها إباحة تعدُّد الجماعات الإسلامية ؟

---

(١) طبقات الحنابلة (١/١٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/١٣٢).

فأجاب بقوله : "ليس في الكتاب والسُنَّة ما يبيح تعدُّد الجماعات والأحزاب، بل إنَّ في الكتاب والسنَّة ما يَذُمّ ذلك، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [} [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى : { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ } [المؤمنون: ٥٣].

ولا شكَّ أنَّ هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله ، بل ما حثَّ الله عليه في قوله: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ 5 } [الأنبياء: ٩٢]، ولا سيّما حينما ننظر إلى آثار هذا التفرُّق والتحزُّب حيث كان كُلّ حزب وكُلُّ فريق يرمي الآخر بالتشنيع والسبِّ والتفسيق، وربما بما هو أعظم من ذلك، لذلك فإنَّني أرى أنَّ هذا التحزُّبَ خطأٌ[١].

وسُئِلَ فضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: إضافة لحالة التردي، تعيش الأمة الإسلامية حالة اضطراب فكري خصوصاً في ما يتعلق بالدين، فقد كثرت الجماعات والفرق الإسلامية التي تدعي أن نهجها هو النهج الإسلامي الصحيح الواجب الاتباع حتى أصبح المسلم في حيرة من أمره أيها يتبع وأيها على الحق؟

ج / التفرق ليس من الدين، لأن الدين أمرنا بالاجتماع وأن نكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد وعلى متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يقول تعالى: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ 5 } [الأنبياء: ٩٢].

يقول تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا e } [آل عمران: ١٠٣]

---

(١) مجلَّة الجندي المسلم ، العدد ٨٣ في ربيع الأوَّل عام ١٤١٧ هـــ.

وقال سبحانه وتعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [} [الأنعام: ١٥٩] فديننا دين الجماعة ودين الألفة والاجتماع، والتفرق ليس من الدين، فتعدد الجماعات هذه ليس من الدين، لأن الدين يأمرنا أن نكون جماعة واحدة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «**المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[١]. ويقول: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد**»[٢]. فمعلوم أن البنيان وأن الجسد شيء واحد متماسك ليس فيه تفرق، لأن البنيان إذا تفرق سقط، كذلك الجسم إذا تفرق فقد الحياة، فلا بد من الاجتماع وأن نكون جماعة واحدة أساسها التوحيد ومنهجها دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومسارها على دين الإسلام، قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [} [الأنعام:١٥٣] فهذه الجماعات وهذا التفرق الحاصل على الساحة اليوم لا يقره دين الإسلام بل ينهى عنه أشد النهي ويأمر بالاجتماع على عقيدة التوحيد وعلى منهج الإسلام جماعة واحدة وأمة واحدة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك. والتفرق وتعدد الجماعات إنما هو من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة، فما زال الكفار والمنافقون من قديم الزمان يدسون الدسائس لتفريق الأمة، قال اليهود من قبل: { آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [آل عمران: ٧٢] أي

---

[١] «صحيح البخاري» (٦٠٢٧).

[٢] «صحيح البخاري» (٦٠١١).

يرجع المسلمون عن دينهم إذا رأوكم رجعتم عنه، وقال المنافقون: { لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا Y } [المنافقون: ٧]، { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ; } [التوبة: ١٠٧][١].

---

(١)انظر ص (٤٤ــ٤٥) من كتاب مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري للدكتور الرفاعي.

تم بحمد الله هذا البحث يوم / الأحد / ٢٣/ شعبان / ١٤٣٢هـ

وكتب

أبو حفص محمد بن كامل المسندي الأثري

عفا الله عنه وعن والديه

عين شمس / القاهرة / مصر

www.mosndy.net

abyhafs@hotmail.com

٠٠٢ / ٠١٢٢٧٣٢٨٢٦